

سوء توافق الشخصية وعلم حفظ الصحة العقلية

بقلم روبرت روك

الحياة حركة دائمة ، الفرض منها التوافق مع التغيرات الناشئة في البيئة الاجتماعية أو المادية ، وهدفها التكيف مع أحوال الفرد الجثمانية والعقلية ، ثم التناسق مع التغيرات الدائمة فيما بين هذه العوامل نفسها . فالتوافق إذاً عمل مستمر ومعقد ولا يعتمد على ناحية واحدة من شخصية الفرد ولكن على النظام الداخلي الذي يتكوّن من عدة عوامل تتفاعل فيما بينها . ولذا نجد أن الاحوال المتشابهة ظاهراً والتي تتطلب التوافق يأخذ بها الأشخاص المختلفون كلٌ بطريقة تختلف عن طريقة غيره كما أنّ أحوال التوافق المتنوعة تختلف من حيث أثرها الفعلي . ونقول عن الأفراد الذين يأتي توافقهم بصورة تلت نظر الغير والذين يظهرون طرقاً شاذة وغير مجدية أثناء عملية التوافق أنهم في حالة من سوء التوافق . وتقدر درجة سوء التوافق بأهمية الحالات التي لا يفي فيها سلوكهم بالفرض وعجزهم عن اتيان التوافق المناسب للفرص السانحة .

يأتي إذاً « علم حفظ الصحة العقلية » في هذا المجال ليعنى بتنمية شخصيات حسنة التوافق . ويعتمد في ذلك على تدريب الأطفال تدريباً منظماً لكي يتصرفوا بحكمة في الحالات التي يوجدون فيها وفي المناسبات التي يواجهونها . ويحاول علم حفظ الصحة العقلية أن يكشف عن حالات سوء التوافق في مبدأ نشوئها وأن يقوم الاعوجاج بأسرع ما يمكن ، ثم يقدم الطارق الفنية ليعيد الأفراد الذين اشتدت فيهم حالات سوء التوافق الى صحتهم العقلية الطبيعية . وسنبعث أولاً في هذا الفصل حالات متنوعة في توافق الشخصية ونبين أهميتها لعلم حفظ الصحة العقلية ونبحث بعد ذلك في علاج العوامل التي تسبب سوء التوافق . ثم نخصص القسم الأخير من هذا الفصل لذكر نواحي الوقاية في علم حفظ الصحة العقلية ووصف العلاج الطبي ثم تقدير أثر هذه الأنظمة الإصلاحية .

الشخصية الكاملة

إذا رغبتنا في دراسة سلوك الانسان وإحساسه وتصرفه نوجه عادة الانتباه إلى ناحية واحدة مما يعملها الفرد في ذلك الوقت فنراقب إحساسه وردوده الانعكاسية وشعوره وانفعاله وحوافز العمل والعمليات العقلية كلاً منها على حدة . تسهل هذه الطريقة التحليلية الحصول على المعلومات الخاصة بكل ناحية من نواحي السلوك التي ذكرناها والتي نود بحتمها إلا أن هذه الطريقة تؤدي إلى تبسيط الصورة الذهنية للأعمال الإنسانية إلى مستوى ينحط كثيراً عن حقيقة هذه الأعمال كما هي في الواقع . ومن الأمور التي يجب الانتباه لها أن أعمال الفرد الحيوية في الأحوال الواقعية لا تأتي بتاتاً مستقلة ومنفردة ولا توجد عملياً ما غير محاطة بأنواع أخرى عديدة من العوامل الذهنية ومتأثرة بها . يعمل الفرد كوحدة كاملة إذ أنه يفكر ويشعر ويجهد في نفس الوقت الذي يستعمل فيه كفايات متنوعة وصفات مختلفة . فشخصية الفرد تتكون إذاً من جميع كفاياته وصفاته ومميزاته الجسمية والعقلية ، التي اكتسبها بالتعلم وغير ذلك ، وهذه الشخصية الكاملة الموحدة هو ما يجب الأخذ به في أثناء دراستنا لعملية التوافق

أسباب التصادم والتصادم

يختبر كل فرد من سن الطفولة إلى عهد الكهولة حالات كثيرة من المقاومة والفشل وخيبة الأمل في محاولاته ليشبع رغباته ويستوفي حوافزه وما يحتاج إليه من أمور . وتنتج أوائل حوادث التصادم وحبوط المسمى عند الطفل حين يواجه الحقائق فيعرف أنه لا يستطيع الحصول على كل ما يشتهي ، ويستمر هذا النوع من التصادم بعد ذلك طول العمر . غير أنه مع تقدم السن تزداد رغبات الفرد وتشتد تعقيداً فيواجه تجارب أكثر عناداً وأشد مقاومة لرغباته الذاتية . ويأتي بعد ذلك نوع آخر من التصادم عند تكوين المذكرات الخلقية ومبادئ السلوك .

ولذا يدرك الفرد أثناء التوفيق بين نفسه وبين أحوال الحياة ضرورة التوازن

والتناسق بين رغباته وبين الحقيقة الواقعية . فهناك رغبات كثيرة صعبة الحصول أو مستحيلة المنال مما يحتم على الفرد قبول الفشل والهزيمة مما يؤدي به الى تجربة حل آخر أكثر توفيقاً من الحل الاول ، أو المثابرة على النضال حتى يصل الى غايته . نجد مثلاً في مجال التربية ان قصور الفرد العقلي والجسماني قد يمنعه من الدراسة التي تؤهله لبعض الأعمال والمهن . وقد لا يتمكن حتى من التدريب عليها والاستعداد لها . ونجد أيضاً أن الرغبة في المال الكثير والنفوذ الواسع موجودة عند الكثيرين ولا يصل الى إشباعها غير أفراد قلائل . ونتمنى الغاء الحاضر وعودة الحال الى ما كان عليه في الماضي أمر شائع مع أنه ضرب من العقم والعبث . ويجب علينا أن نبين هنا أن رفضنا قبول بعض نواحي الحقيقة الواقعية هو مصدر دائم لتعارض الرغبات وتصادمها في أفراد كثيرين فتراهم يلجئون ومن بينهم بعض الأذكيا المتورين الى أنواع مختلفة من السلوك الناقص ليتهربوا من قبول الهزيمة والاعتراف بالفشل .

وكثيراً ما نشاهد تعارض عدة رغبات في الفرد الواحد اما بسبب تعارض الغايات نفسها التي يسعى اليها واما بسبب عدم إمكان الحصول عليها جميعاً مرة واحدة . فقد نشاهد طفلاً جائعاً وقت الغذاء إلا أنه يرغب في نفس الوقت في الاستمرار في اللعب . وقد يود طالب في مدرسة ثانوية أن يتكاسل إلا أنه يرغب في نفس الوقت في أن يكون نجحاً رياضياً (يمنع الطالب الراسب في أغلب المدارس من الاشتراك في المباريات الرياضية) كما أن هناك طالباً آخر يتوق الى حضور إحدى الحفلات الراقصة ويرغب في نفس الوقت أن يدرس للامتحان . تدلنا هذه الأمثلة على الرغبات المتعارضة التي لا يمكن إشباعها دفعةً واحدة إذ لا يمكن قضاؤها في نفس الوقت . ومن منا لم يختبر بنفسه تناقض رغبات حب التبذير ولذة الادخار ، وشهية الأكل وخوف زيادة الوزن ، والشغف بالمخاطرة والرغبة في ضمان السلامة ؟

ويتعلم الأ ولاد منذ طفولتهم أصول الخير والشر ويكنسبون مبادئ السلوك ، فيؤدي بهم الحال الى نشوء التصادم بين الرغبات الطبيعية والخوافز التي تجرف أمامها المبادئ الخلقية التي يتحلى بها الفرد وبين رغبته في الخضوع للنظام الذي قبله والمبادئ التي اعتنقها . وفي مثل هذه الأحوال نجد أن بعض الأفراد يوازنون بين رغباتهم

المتعارضة ويختارون ما يحاولون في حين نجد بعض الأفراد الآخرين يؤدون بسعادتهم وراحة أصدقائهم لأنهم لا يعرفون كيف يكبحون جراح رغباتهم ثم كيف يختارون المناسب منها ويتمحكون في أحوالهم . ونجد أن مثل هؤلاء الأفراد لا ينقطع تدميرهم ولا يكفون عن الشكاية من حالهم وذلك لأنهم لا يستطيعون الجمع بين النقيضين .

التوافق وسوء التوافق

يمكننا الاستجابة لحالات التصادم بطرق متنوعة ويكون بعض هذه الطرق مرغوباً فيه لأنه يواجه الحالة بصراحة ويتصرف فيها بكيفية مقبولة من الوجهة الاجتماعية مما يؤدي الى هبوط الضغط الانفعالي الناتج عن التصادم ، ونجد أنواعاً أخرى من الاستجابة تكون غير منتجة اما لأنها تزيد الضغط الانفعالي بدلاً من أن تقلله واما لأنها تتضمن عمليات مما يظهر أولاً أنه مناسب ومؤد الى هبوط الضغط الانفعالي غير أنه يكون غير مقبول من الناحية الاجتماعية أو الخلقية .

ويحدث التوافق غير المجدى أو غير المرغوب فيه كما يحدث التوافق المفيد ، إذا واجه الفرد نوعاً جديداً من التصادم والتعارض مما لم يكن قد خبره وتدرّب عليه من قبل . ولذا نجد أن كل فرد أثناء عملية نموه وتقدمه يظهر الشيء الكثير من السلوك غير المرغوب فيه وغير المجدى . إلا أن أغلب الأفراد يكتسبون طرقاً فنية ووسائل منظمة لمعالجة أكثر حالات التصادم والتعارض والنضال . في حين يكتسب أفراد قليلون سلوكاً غير مرغوب فيه يرجعون اليه في الاستجابة لبعض المؤثرات . وقد تؤدي العوامل الجثمانية والصحية مثل عدم توازن مفرزات الغدد الصم ، والأمراض المستعصية ، والعوائق البدنية والعقلية الى سلوك غير مرغوب فيه وتسيطر على نوع التوافق الذي يحاول الفرد القيام به . ومن العوامل المهمة في تشكيل شخصية الفرد المؤثرات الخاصة بالبيئة .

وهناك أحوال كثيرة من سوء التوافق يرجع سببها إلى تعاليم فاشلة وإلى خبرات سيئة يكتسبها الفرد بنفسه . فالفرد الذي يقوم بعمل ما لسبب يوفق بين حالة ناشئة وبين نفسه قد يحصل على توافق غير مرغوب فيه ولا يفيد ، وقد ينتج

ذلك بالنسبة لسوء تصرف الوالدين أو المدرس في تلك المناسبة وعدم ارشادهم الحكيم .
وإذا أدى عمله هذا إلى ارتياحه واشباع رغبته نرجح إذاً أن هذا الفرد سوف يعيد
الاستجابة الباطلة نفسها إذا قابلته مناسبات مماثلة . وإذا ما تكرر هذا التوافق السيء
أضحى سلوكاً عادياً وضاعت الفرصة لتكوين الاستجابات الحسنة التي كان في
الاستطاعة تكوينها في مثل هذه المناسبات . ولا يقتصر الأمر على ذلك لأن كل حالة
تنشأ بعده وتشمل بعض العناصر المشابهة للحالة الأولى تنتج التوافق السيء مما يؤدي
إلى فساد ناحية كبيرة من أعمال الفرد وهي الناحية التي تتشابه فيها العناصر فتتأثر تبعاً
لذلك بعوامل الانتقال .

ومع ان الانتباه والإرادة يسهلان عملية التعلم غير أن تعلماً كثيراً يحدث بدون
علم المتعلم ومن غير أن يكون له غرض في ذلك . وإنما نكتسب بمثل هذه الطريقة
وخصوصاً في أيام الحياة المبكرة أساليب عديدة تفيد في عملية التوافق .

التعلم عملية مستمرة ويبدأ منذ الولادة ولذا يكتسب الفرد العادي عدداً كبيراً
من أساليب التوافق الفنية قبلما يصل إلى السن الذي يلتحق فيه بالمدرسة ومن الخطأ
الذي لا يغتفر أن نهمل في أساليب التوافق الفنية وأن نتجاوز عن التوافق السيء أثناء
مراحل النمو على اعتبار أن الفرد « ما زال طفلاً » أو أنه « صغير لا يفهم ما يعمل »
فليس هناك فرد يقال عنه إنه صغير ليتعلم، كما بينا ذلك في أحوال تعلم النماذج السلوكية
غير المرغوب فيها، ونعلم أن إزالة الاستجابات غير المرغوب فيها بعد أن نكون قد حصلنا
عليها وصارت جزءاً منا أصعب بكثير من تلافى الأخذ بها من أول الأمر

أنواع التوافق

توجد أنواع كثيرة للتوافق مما يأتيه الأفراد المختلفون أو مما يأتيه الفرد الواحد
في أوقات مختلفة . ثم إن الأساليب الفنية للتوافق تختلف اختلافاً بيناً من حيث أثرها
لتقليل الضغط الذي ينشأ عن الحالات المتضاربة . وبالإجمال فإن الأساليب التي
تضمن عملاً إيجابياً في شأن الحالات المتعارضة تفضل من ناحية حفظ الصحة العقلية

على الأساليب التي تتضمن عملاً سلبياً عماده تلاقى الحالة بالانسحاب أو تجاهل وجودها . وسنعالج فيما يلي بعض أنواع توافق الشخصية مما يعود عادة بالفائدة في دراسة أحوال « سوء التوافق » .

التعويض

قد يؤدي الضعف الجثامي أو عدم الكفاية العقلية إلى أن يحاول الفرد الاستمساكة عن الضعف الذي يشعر به بالاهتمام بالصفات الضعيفة عينها لكي يقويها أو يظهر صفات أخرى لا يشعر الفرد بضعفه فيها . فلكي يعرض ضعيف البنية عن ضعفه الجثامي إما أن يجاهد لكي يكون جسماً كاملاً وبعد مدة يصير من الرياضيين المدودين وإما أن يستغنى عن التفوق الجثامي ويفضل أن يتفوق في الأعمال المدرسية الذهنية .

وقد يتمكن الأثمن من التغلب على لذكته فنجده يسعى ليتكلم ويخطب في كل مناسبة ممكنة ليبرهن لنفسه وللآخرين أن كلامه لا يمتريه شين . وقد يصرف في بعض الأحيان مثل هذا الفرد مقداراً عظيماً من القوة والعزيمة لكي يصل إلى غاية غير مضمونة الفائدة . في حين لو صرفت مثل هذه القوة والطاقة في نواح أخرى ووجهت إلى سبل تختلف عنها فربما أدت إلى نتائج مفيدة ووصلت إلى غايات مرغوب فيها

وليس كل توافق يعمل بقصد التعويض يكون صالحاً . فقد يؤدي الشعور بالضعف الجثامي أو العقلي أو الاجتماعي أو الاقتصادي إلى تغطية هذا الضعف والإسراف في ذلك بدون حساب ، وقد تكون هذه التغطية حقيقية كما أنها قد تكون خيالية ، فيتظاهر الفرد بالتفوق الذي لا يبني على أساس يدل عليه عمله أو تحصيله . وكثيراً ما يكون العناد الممقوت والتبجح السقيم والميل إلى التظاهر من حالات التعويض المتبدل لما يشعر به الفرد من الخوف والخجل وعدم الثقة . كما أن الطفل الذي يجد أنه لا يستطيع أن يصل إلى درجة الامتياز والتفوق بطرق الدراسة العادية قد يصل إلى الامتياز الذي يشده عن طريق التفوق في أن يكون أشهر كسلان في الفرقة ! ثم إن

توجيه نظر الغير الذي ينشده التاميز لنفسه ولا يستطيع أن يحصل عليه بالسلوك الحسن يؤدي به الى سوء السلوك حتى يصل إلى غايته .
وقد يأتي التعويض في بعض الاحيان بمد التفكير والتروى غير أن أغلب حالات التوافق التعويضى تحدث دون أن يشعر الفرد بها .

التفكير المنطقي المقبول

لا يعترف أفراد كثيرون بأسباب استجاباتهم التهربية وحركاتهم الدفاعية لبعض الأحوال الناشئة كما أنهم لا يبوحون عن الخوافز الحقيقية التي تدفعهم للإتيان مثل هذا السلوك . فهم يلجئون إلى تحايلات منطقية مقبولة تظهر سلوكهم بمظهر أفضل وكيفية أضبط من الواقع كما هو في الحقيقة من غير أن يضيفوا إليه تلك التحليلات المنطقية . وكثيراً ما كانت هذه الشواهد كاذبة أصلاً إلا أن اصحابها بعد قليل يعتقدون أنها الأسباب الحقيقية فيخدعون أنفسهم . ولذا نرى أن هؤلاء الأفراد لا يكذبون عن سوء نية أو عن إدراك بتصد الخداع ، ولكنهم يعبرون عن ميولهم الخاصة تجاه ما يعملون . وتسمى هذه الطريقة لتحليل الأعمال من وجهة ذاتية بالتفكير المنطقي المقبول (Rationalization) . فالتاميز الذي يبرر لعب الجولف أو السباحة أو غير ذلك من أعمال بقوله إن ذلك يساعده على المذاكرة والدرس يحاول أن يبرر صرف ساعات طويلة كل أسبوع في ميدان اللبس أو حمام السباحة الى درجة قد تصل الى الاجهاد الجسماني والاقلاع كلية عن الدرس، كما أن التاميز الضعيف البنية يقول إنه لا يلذ له رؤية مباراة كرة القدم لأت مكانه مع المفكرين والذين يستعملون عقولهم ، لا مع لاعبي الكرة عديمي الذكاء . كما أن الفتاة التي تقول إنها لا تذهب الى صالة الرقص في الباخرة التي هي مسافرة عليها لأنها لا تحب الرقص قد تخشى أن لا يراقبها أحد فتتخلص من حالة تخاف منها . وكل فرد في بعض الأحيان يلجأ الى هذا النوع من التبرير الذاتي ، ولا تحسب هذه الحالة ضمن الموارض المضرة الخطرة إلا إذا صارت ميزة خاصة وأضحت عادة راسخة . ويمكن مساعدة مثل هؤلاء الافراد بأن نواجههم بالاسباب الحقيقية لسلوكهم الشاذ وأن نطلبهم على حالتهم كما يراها الغير من الذين يودون الاخذ بيدهم ومعارفهم على تحسين حالتهم .

أهم مسم اليقظة

تمر على جميع الأفراد العاديين حالة ينغمسون فيها في الخيال ويتصورون نتائج أعمالهم قبل القيام بها فعلا لكي يتلذذون بثمار جهادهم قبل الأوان . غير أن أحلام اليقظة تتحول إلى تهديد خطر لصحة الفرد العقلية إذا اعتادها للتخلص من شؤون العالم الحقيقية غير اللذيذة . فالفرد الدائم النشل قد يجد في عالم الخيال تلك اللذة والسعادة التي حرم منها في الحياة الحقيقية . وإذا ما نال الفرد اللذة الكافية من هذه الأحلام والاختبارات الخيالية فإنه يكف حتى عن محاولة السعي إلى التوافق في الحالات التي كان يجاهد فيها من قبل ويفشل .

وقد تصل الحالة العقلية للذين يهربون من عالم الحقيقة ويلجئون إلى عالم الخيال إلى درجة خطيرة ، وقد أدى ذلك إلى اقتراح بعض العلماء المتطرفين الفناء تدريس القصص الخرافية في رياض الأطفال . غير أن حل هذه المسألة بطريقة أفضل يتناول ضرورة الكشف عن حالات الإفراط في أحلام اليقظة وملاحظتها في المراحل المبكرة من عمر الطفل ، ويجب إعداد الفرص حتى يتمكن الطفل من نيل اللذة الحقيقية ثم إرشاده إلى الوسائل التي تضمن له فرصاً مناسبة أخرى دائمة الأثر .

التوافق بأعراض العجز

يطلق لفظ « هستيريا » على نوع من سوء التوافق يساعد الفرد على التهرب من حالة غير مريحة بأن يظهر أعراضاً من عدم الكفاية الجثمانية أو العقلية دون أن يكون لذلك سبب حقيقي على الإطلاق . وقد يتألم الشخص الذي يظهر أعراض الهستيريا تبعاً للأوجاع والآلام التي يقول عنها ، غير أن هذا الفرد لا يدري أن أسباب عجزه لا توجد في غير مخيلته . ويجب التفرقة بين الفرد المصاب بهستيريا ، وبين الممارض الذي يعرف أنه يدعى المرض تخلصاً من واجب ، وكذا المصاب بالسواس (السوداء) الذي يتلذذ بادعاء ضعف الصحة . غير أن الأحوال الثلاثة متعلقة بعضها ببعض . ومع أن المصاب بهستيريا لا يعرف سبب عجزه غير أن هذا القصور يعود عليه بالفائدة . فقد يؤدي هذا العجز إلى خروجه من مأزق غير محتمل في البيت

أوفي المدرسة أوفي مكان العمل مع أن المصاب نفسه لا يدري أن تصرفه هذا أداة
للنجاة من حالة تضايقه ، وقد يؤدي الألم والعذاب الى حصول الفرد على العناية
والمطف مما لا يناله عادة إلا أثناء المرض .

وإذا ما سُمح لكل مرض بسيط بأن يكون فرصة يفوز الطفل فيها بالمطف
والعناية فإن أضرار ذلك قد تفوق أضرار المرض نفسه . وإذا ما تمتع الطفل بما ذكرنا
أثناء مرضه كان المرض لديه أمراً مستحباً ومرغوباً فيه . وإذا ما تبين للطفل أثناء مرض
من أمراضه الحقيقية أن المرض وسيلة بسيطة للهروب من مضايقات المدرسة وواجباتها
أدى ذلك الى نتائج وخيمة . فيجب إذاً العمل بكل طريقة لجعل حالة المرض أقل
لذة وراحة من حالة الصحة حتى يفهم التلميذ أن التمارين لا يعود عليه بالفرص السهلة
الميسورة أو يغميه من الواجبات المدرسية .

أنواع أخرى من التوافق

يوجد غير الأساليب الفنية للتوافق التي ذكرناها فيما سلف عدد كبير من الطرق
الستعملة للتوفيق بين الحالات المتضاربة نذكر منها :

- أ - العزو (Projection) وهو أن ننسب الى آخرين أخطاء موجودة فينا .
- ب - انتحال الشخصية (Identification) وهي أن نتخيل أنفسنا مكان أناس آخرين
ونأتي أعمالهم كالفرد الذي يتخيل نفسه أحد أشخاص الرواية التي يقرأها أو يشاهدها .
- ج - الارتداد (Regression) وهي الرجوع الى سلوك الطفولة بعد الوصول الى مراحل
النضوج .
- د - السلبية (Negativism) وهي رفض الاذعان الى الأوامر أو الرجاء .
- هـ - الميل الى عمل الضد . هـ - الهم أو القلق (Anxiety) وهو البلبال وانشغال البال .
- و - الوسواس (Phobias) وهي المخاوف غير المعقولة .

شواهد على سوء توافق الشخصية

قد يظهر سوء توافق الشخصية في السلوك الاعتيادي العدواني أوفي الانسحاب
والتهقر أوفي العادات العصبية . ويشمل السلوك العدواني بعض الأمور التي منها المشاغبة

والسرقة والتشرد والعقوق والتمرد والتحدى والوقاحة والتخريب والمشاكسة الخلقية الناجمة عن حدة الطبع . ويشمل التهرب والانزواء أموراً منها الخجل والخوف وأحلام اليقظة والوحدة والتستر . أما العادات العصبية فتشمل الحركات العصبية (الارتعاشية) وقضم الأظافر والتأمل أو التبرم ومص الإبهام وسلس البول لعدم إمكان ضبطه .

ولا يمكننا الإشارة إلى أحد هذه العوارض ككامل خطر في سوء توافق الشخصية إذ لا يتأتى الفشل التام في التوافق إلاّ باجتماع عدد منها . ولسوء الحظ نجد أن أسباب العوارض التي ذكرناها قد تختلف باختلاف الأفراد كما أن هذه الأسباب قد تختلف في الفرد نفسه من وقت إلى آخر . ولذا لا يمكننا غير القول بأن ظهور عوارض السلوك العدوانى أو الانسحابى أو بعض العادات العصبية يدل على وجود حالات من سوء التوافق ، ولا يمكننا دائماً تفسير أسباب تلك الأعراض تفسيراً قاطعاً وقد اهتم « وكيان » (Wickman) بتحقيق الخطورة النسبية للأشكال المختلفة في السلوك الشاذ فجمع تقارير ٥٠٠ مدرس و٣٠ عالماً في حفظ الصحة العقلية وأحصى تقديراتهم لحسين مسألة من مسائل السلوك . وقد سأل « وكيان » كل واحد من هؤلاء أن يبحث كل سلوك شاذ من وجهين : أولاً - عدم رغبة الفرد في إتيان سلوك معين حين يفضل ذلك . وثانياً - مقدار ما يؤثره ذلك السلوك في الطفل فيما لو أجبر على إتيانه ، ثم تقدير المقاومة التي يظورها الطفل نحو قبوله الإرشاد والنصيحة .

دلّ الإحصاء في هذا الشأن على أن المدرسين يعتبرون :

- (١) فساد الآداب وعدم الامانة وتحدى سلطة الرؤساء أشد خطورة من :
- (٢) مخالفة النظام في الفرقة وعدم اتباع الأعمال المدرسية المقررة . ويعتبرون هذه أشد خطورة من :
- (٣) الشخصية التي تتصف بالسلوك العدوانى والاسراف والتبذير . ويعتبرون هذه أشد خطورة من :

(٤) الشخصية التي تتصف بالتهرب والانسحاب .

أما الأطباء فإنهم يعتبرون :

(١) الاتصاف بالتهرب والانسحاب أشد خطورة من :

(٢) عدم الأمانة وفقدان الثقة والمشاكسة الخلقية (حدة الطبع) والتشرد .

ويعتبرون هذه أشد خطورة من :

(٣) سوء الأدب ومخالفة الأعمال المدرسية المقررة وصفات التهور ، وهذه

أشد خطورة من :

(٤) تحدى سلطة الرؤساء ومخالفة النظام في الفرقة .

ونلاحظ في هذا التقدير أن المدرسين اعتبروا السلوك العدواني مثل السرقة والمسائل الجنسية وتحدى السلطة أموراً في غاية الخطورة واعتبروا الانسحاب والتهرب أقل العوامل خطورة . في حين أن الأطباء وإخصائى علم حفظ الصحة العقلية اعتبروا أن الانسحاب والتهرب أشد خطورة من ناحية أثرها المستقبل . وعلق الاطباء أهمية قليلة على السلوك غير الاجتماعى .

ويجب ألا يستنتج من هذه المقارنة أن الاخصائيين في علم حفظ الصحة يقولون عن المدرسين في تقديرهم للمستوى الأخلاقى أو أنهم يعملون على تشجيع المبادئ غير المحترمة لأن التقدير الذى طلب منهم إبداء الرأى فيه هو تقدير أثر هذه العوامل على التوافق العقلى المستقبل لا تقدير أهميتها من حيث قيمتها الأخلاقية . ولذلك اعتبر هؤلاء الاخصائيون السلوك الانسحابى أشد العوارض خطورة . كما أنهم قللوا من خطورة بعض الظواهر العدوانية التى اعتبرها المدرسون من أخطر العوامل . وكانت حجة الاخصائيين في ذلك أن السلوك العدواني من الأمور التى يمكن معالجتها وتقويمها دون عناء كبير .

ويجب ألا نتزعج اذا علمنا أن كلاً منا قد يظهر من حين الى آخر بعض عوارض سوء التوافق . وأن بعض العوارض البسيطة مثل أحلام اليقظة الطارئة والتفكير المنطقى التعقلى والخطط الدفاعية وغيرها من الأمور العادية الظهور حتى في الأفراد الذين يعدون طبيعيين إلى أقصى حد . إذ لا خطر من هذه العوارض على التوازن العقلى إلا إذا وصلت الى ميول مبالغ فيها وأضحت عادات متمكنة . وإذا وصلت

هذه العوارض الى حدها الأقصى من الخطورة أصبحت حالات تستوجب عناية الاخصائيين اذ يصبح الفرد غير قادر على السلوك الطبيعي فيحتاج إلى إلقاءه في إحدى المؤسسات الصحية .

أسباب سوء التوافق

نعيد في هذه المناسبة القول بأن كلا من العوارض الأصلية قد تظهر على أشكال متنوعة في الأفراد المختلفين كما أنها قد تأتي على صور متباينة في نفس الفرد من وقت إلى آخر . فقد يتخذ شخص يشعر بالضعة خططاً من الخجل والجنون والسلوك الانسحابي ، في حين يأتي شخص آخر أعمالاً لتفطية أوجه ضمه وللإستعاضة بها عن ذلك الشعور منها التبخر زهواً والتهوؤش محاولاً بذلك أن يخفي شعوره الحقيقي عن الآخرين ، وفي بعض الأحيان عن نفسه أيضاً .

وتأتي مسألة الغيرة على أشكال عديدة . فالطفل الذي يغار من أخيه أو أخته قد يلجأ إلى أساليب متنوعة لكي يحصل على ما يريد من انتباه أمه ورعايتها . فقد يلاحظ هذا الطفل أثناء الغداء حينما لا يكون على درجة كبيرة من الجوع أن أمه تهتم بالمسألة وتحاول أن تطعمه . فيؤثر هذا العمل في الطفل ويشعره بارتياح مما يؤدي إلى تكوين مسألة سلوكية من ناحية الطعام . وقد يلجأ هذا الطفل بعد ذلك إلى تكوين مسائل أخرى لكي يحصل على اهتمام أمه بأن يتظاهر بالخوف مثلاً ليكسب عطفها ومواساتها له . وقد تؤدي في بعض الأحيان الغيرة إلى الاعتداء المباشر على الأخ الأصغر أو إلى الرجوع إلى السلوك الطفلي لكي ينشبه بمن يظن أن الأم تحبه أكثر من أخوته الآخرين .

وقد تتشابه بعض العوارض في أفراد مختلفين إلا أن كل حالة منها تستوجب العناية الخاصة تبعاً للعوامل المسببة لها وتبعاً لمقتضيات أحوالها . فقد يسرق طفلان بعض المال ، أحدهما يسرق لكي يهرب من بيت أبيه ويتخلص من معيشة لا تطاق والآخر لكي يشتري الهدايا لبعض الأولاد الذين يود اكتساب صداقتهم ولا يعرف كيف يحصل عليها . فلا شك في أن علاج مثل هذه العوارض المتماثلة - أي سرقة

المال - يختلف في كل من الحالتين بحسب الأسباب . وقد يكذب طفل لأنه فشل في اكتساب التفوق العقلي الذي تخيله ولم ينله في الحقيقة ، كما يكذب طفل آخر خوفاً من العقاب . يتضح لنا إذاً عدم وجود علاج معين يمكن اتباعه عند ظهور كل عارض من العوارض التي يمكننا ذكرها في المسائل السلوكية لأن كل حالة تحتاج إلى التشخيص الفردي الدقيق الذي يعتمد على الدراسة الكاملة للحالة وعلى بحث أسباب ذلك السلوك الشاذ .

نشرح بعد ذلك الفرق بين سوء التوافق (Maladjustment) والسلوك الشاذ (Problem behavior) الذي يعد مسألة تحتاج إلى علاج . يقال في أحيان كثيرة أن السلوك الشاذ هو عارض لسوء التوافق . غير أنه يجب ملاحظة مضمون كلمة عارض هنا . تدل الحى مثلاً على عوارض التعفن أو الفساد غير أن ملاحظة هذه الحى لا يدلنا على موضع الداء ولا على سببه . وكذلك الأمر في أن ملاحظة السلوك الشاذ يدل على سوء التوافق غير أنه قد لا يعطى إلا معلومات ضئيلة عن طبيعة سوء التوافق هذا وأسبابه .

وقد دلت الأبحاث على أن تحليل أسباب سوء التوافق قد يظهر من ثلاثة إلى عشرة عوامل . وبتحليل كل من هذه العوامل بدوره نقف على الأسباب المباشرة الخاصة التي تنتج عن كل عامل . ونذكر أن من هذه العوامل ما يتعلق بنوع المعيشة البيئية ونوع البيئة وعلاقة الطفل بالوالدين وعلاقة الطفل بالمدرسة وأحوال الطفل الجثمانية وحالته العقلية وخبرته وتدريبه على كيفية التوافق . وأن جميع هذه العوامل تؤلف أقساماً مختلفة على غاية الأهمية مما يفيد في البحث ويمكن الرجوع إليه في التقييم . وقد تبين من بعض الأبحاث أن الخطة التي يتبعها الوالدان مع أولادهم أهم بكثير من البيئة التي ينشأ فيها هؤلاء الأولاد من حيث أثرهما في إتيان التوافق المناسب

أُرْ عَلِمَ هَفْظَ الصِّحَةِ الْعَقْلِيَّةِ

أثارت الحركة التي بدأت منذ حوالي ثلاثين سنة في علم حفظ الصحة العقلية أمر الوسائل التي تتبع في أحوال الشذوذ العقلي كما أنها عملت كثيراً لتخفيف حالات

سوء التوافق المهمة وذلك بتشديدها على ضرورة الكشف المبكر عن العوارض وإعداد وسائل المعالجة الطبية وتدريب الأطفال والوالدين والمدرسين تدريباً حسناً على الطرق الفنية لمواجهة الأمور وحل المسائل وإيجاد التوافق . وقد يكون أهم ما قامت به هذه الحركة نشرها لفكرة وجوب دراسة السلوك الشاذ دراسة وافية باتباع الطريقة العلمية الدقيقة، كما أنها بينت ضرورة معالجة الفرد السيئ التوافق بالرفق وحسن المعاملة لا باللوم والفظاظة . ثم إنها قضت بلزوم ملاحظة جميع نواحي شخصية الفرد كما سنرى في وصف حالة مرضية في موضع آخر من هذا الفصل . ثم إن الوثوق من حاجة الأطفال والبالغين إلى الانفعالات النفسية قد أدى إلى وضع نظام خاص يضمن لكل فرد قسطاً منها ويتم له ذلك بطرق اجتماعية وخلقية مقبولة . وسنبحث في الفقرات التالية نوعين من الانفعالات النفسية التي يحتاج إليها الفرد وهما : أولاً الرغبة في الطمأنينة والتأمين والضمان . وثانياً الرغبة في التحصيل .

الحاجة إلى الطمأنينة والضمان

من الانفعالات الأولية التي يحتاج إليها كل فرد الاحساس بالطمأنينة والأمان ، فهو في حاجة إلى الشعور بأنه يتبع مكاناً ما وبأنه ينتسب إلى شخص ما ، وبأن هناك من يريده ، وبأن الناس في حاجة إليه وبأن له مكاناً خاصاً في الهيئة الاجتماعية .

وأول ما يشعر به الطفل من الطمأنينة هو حب الوالدين له ولذا نجد أن الأولاد الذين يولدون رغم مشيئة الوالدين يأتون إلى هذا العالم وهم مزودون بالنقص الذي ينتج عن فقدان حب الوالدين وبالتالي ضياع الطمأنينة . ولا يقل الوفاق بين الوالدين أهمية عن حبهما للطفل في إيجاد الطمأنينة الانفعالية له ، وترجع بعض أسباب عوارض البيت غير السعيد أولاً إلى المنافسة بين الوالدين في العطف على الطفل وثانياً إلى الاختلاف في كيفية تربيته . فكل حالة من هاتين الحالتين ضارة جداً بطمأنينة الطفل الانفعالية وبجالة صحته العقلية . فالأولاد الذين ينشئون في بيوت يفرقها عدم الوفاق أو الموت أو الذين تمزقهم المنافسة بين الوالدين أو الذين يعثرن بين الأقارب والغرباء أو الذين يتحتم عليهم التوافق مع زوج أحد والديه ، قد يعدون في مصاف الأولاد ذوي

السلوك الشاذ لا لسبب غير هذه الأحوال التي وضعوا فيها فلم يحصلوا على الطمأنينة الانفعالية اللازمة لهم والضرورية لمعيشتهم الطبيعية .

ومن العوامل الأخرى التي تؤدي الى شعور الطفل بعدم الطمأنينة التغير المستمر للسكن الذي يؤدي الى تغير المحيط والجيرة والرفاق والمدرسة وزملاء الدراسة . فلا يعطى أولاد العائلات الرحل الفرصة الكافية لكي يوفقوا أنفسهم لبيئاتهم لأنها دائمة التغير والتبدل وهكذا يحرم هؤلاء الأطفال من حالات الاستقرار اللازمة لخلاق روح الطمأنينة والأمان .

ويأتى بعد ذلك عدم الاستقرار الاقتصادي الذي يؤثر مباشرة في مسألة توافق الطفل زيادة على أنه يحرم من بعض الأمور بالنسبة لتبديل أفكاره والخوف الذي يظهره الوالدان صراحة أمام الأولاد . كما أن الانفعال الذي يمر بالوالدين أثناء الازمات المالية يفقد السكون اللازم أثناء ارشادهم للأطفال كما يجلبهم من الوجهة الانفعالية أقل لياقة لأداء واجبهم .

ويمكن إرجاع أسباب حالات الغيرة التي يظهرها أخ نحو أخيه الأصغر إلى ضياع الشعور بالطمأنينة حين ولادة الطفل الجديد . إذ توزع الأم بعد وجود المولود الجديد وقتها وانتباهها على الولدين معاً بعد أن كانت قد خصت بهما مولودها البكر مما يؤدي الى شعور الطفل الأكبر بأنه غير مرغوب فيه أو غير محبوب من الأم ولهذا السبب يلجأ إلى إظهار أعراض مختلفة لمحاولة إرجاع عطف أمه إليه . وإذا لاحظنا أن تغيراً مثل هذا يطرأ على الأسرة قد يؤدي الى تعريض الطفل إلى انفعالات خطيرة كان من الواجب على الوالدين أن يتخذوا كل حيلة ليحبطوا كل خطوة من هذا النوع ويتم ذلك باعداد الطفل الأكبر للحادث المقبل بتشجيعه على اتخاذ خطط الترحيب والمساعدة ثم بالتأكد له أنه ما زال محبوباً وما زال مرغوباً فيه وأن مكانه الممتاز في العطف ما زال محفوظاً . ويجب إظهار كل ذلك له ببراهين إيجابية عملية حتى يطمئن كل الطمأنينة .

يبين لنا ما ذكرناه ضرورة شعور الطفل بالطمأنينة غير أنه يلزمنا أن نفهم أيضاً أن الطفل يجب ألا يخنقه عطف الأم ويضايقه حنوها . وكثيراً ما ينتج ذلك من

حرمان الام نفسها من العطف اثناء طفولتها لسبب من الأسباب أو لعدم اهتمام الزوج بها أو لعلة أخرى فتحاول أن تجدد لنفسها بعض الراحة الانفعالية غير الطبيعية عن طريق علاقتها مع الطفل ، ونذكر أيضاً أن الأم الزائدة الاهتمام الكثيرة العناية قد تؤدي الى ضرر صحة الطفل العقلية اكثر من ضرر الأم غير المهتمة بل المهمله .

وإن عملية النمو التي هي أمر طبيعي في كل طفل تعني أموراً كثيرة غير النمو الجسدي . تشمل هذه العملية تغيرات نفسية هي شواهد على النضوج الانفعالي . وقد نرى أن بعض الأفراد البالغين لم يتم نموهم الانفعالي أبداً مما يؤدي بهم الى مواجهة أحوال معقدة وتصرفات تستلزم السلوك الناضج ، فيسلكون طرقاً تشابه ما يأتيه الاطفال . وكثيراً ما نجدهم يظهرون المشاكسة الخلقية والتجهم (التبوريز) وانتظار رأى الغير حتى ينبعوه وهكذا . فمثل هؤلاء الافراد تقف في سبيل توافقهم مع المناسبات الحيوية الخاصة بالبالغين عراقيل صعبة . ويؤدي تحليل مثل هذه الحالات الى الكشف عن نقص في عادات الاعتماد على النفس والاستقلال في الرأى وضبط الانفعالات النفسية وذلك كله يعود الى فشل تربيتهم الانفعالية في الوقت المناسب . فيجب أن يسمح للطفل بالاعتماد على نفسه وتعلم كيفية اداء كل أمر بنفسه حتى يصل الى المرحلة التي يمكنه فيها القيام بكل هذه الامور تبعاً لنمو كفاياته وتقدمه في المهارة . ويجب أن نسمح للطفل بأن يساعد في غسل جسمه وبأن يساعد في لباس نفسه الى أن يتعلم اداء مثل هذه الامور دون مساعدة الغير . ويجب تمويده وهو طفل البقاء في غرفته منفرداً الى أن يتمكن من قضاء يوم عند اقاربه أو بعض الاصدقاء . وكثيراً ما عادت الخبرة التي تكتسب في المعسكرات الصيفية أو المدرسة الداخلية بالفائدة العظيمة على هذه الناحية في النمو الانفعالي . فالطفل الذي يحن الى البيت (Homesick) اثناء وجوده في المعسكر أو المدرسة الداخلية غير مستعد من الوجهة الانفعالية لمثل هذه الأحوال لأنه صار معتمداً اكثر من اللازم على والديه وعلى أحواله البيتية ولم يعط فرصاً صغيرة في أول الأمر للتمرن على الحياة الاستقلالية والاعتماد على النفس مما يمهده للحياة في المعسكر أو البقاء في المدرسة الداخلية .

وتوجد أيضاً فرص جميلة لتمويد الطفل الاستقلال في الرأى واعتماده على نفسه

منها المسائل المالية . فالطفل الذي لم توجد بين يديه النقود مطلقاً مما يقدر أن يسميه أنه ماله الخاص قد فقد كثيراً من الشعور بالطمانينة . والمرجح أن مثل هذا الفرد لا يستطيع أن ينظم صرف مبالغ كبيرة من النقود لأنه لم يتعود ذلك بالمقادير الصغيرة أثناء نموه . كما أن البنت التي ترشدها أمها دائماً إلى الرداء الواجب عليها ارتداؤه قد تجد نفسها ناقصة في الذوق عند وصولها إلى المرحلة التي يتحتم عليها فيها أن تختار ملابسها بنفسها . فمن الملوم في جميع هذه الميول والخطوط ؟ تظهر هذه الأعراض على الأطفال المساكين لا من غلظة اقترفوها هم ولكن عن سلامة نية والديهم الطبي القلب الذين أضروا النضوج الانفعالي بأعمالهم بدلاً من مساعدته على النمو والتقدم . إن الأمهات اللواتي يكرهن أن يرين أولادهن يكبرون ثم يرين شعر الصبيان ويلبسهم ملابس الفتيات حتى يصلوا إلى الثامنة أو العاشرة هن من صنف الأمهات المحبات لذواتهن واللواتي لا يدعن بناتهن يتزوجن ويصرن أخيراً الحموات الحمقوات النكدات .

الحاجة إلى التحصيل

من الأمور الأولية الأخرى التي يحتاج إليها كل فرد الشعور بالتحصيل أو الإنجاز والثقة بأنه يستطيع القيام بالأمور وبأن يفمل حقيقة شيئاً ذا قيمة يقدره العالم . ويعنى هذا القول أنه مهما كانت موهبة الفرد أو كفايته محدودة فلا بد من إشباع رغبته في التحصيل بالمقدار الذي يستطيع أن يأتيه . ولذا فلن يستطيع الطفل البليد والمتأخر أن يشبع هذه الرغبة إذا طلبنا إليه أن يجارى الأفراد العاديين والمتفوقين فإنه مهما جد وعمل فلن يصل إلى شيء يذكر بالنسبة لما يحصل عليه الآخرون فهو دائماً الخاسر . فقد يعمل بجهد ونشاط ويحصل على أكبر محصول بالنسبة لكفايته غير أنه يجهد نفسه مسبقاً بآخرين . فيؤدي به هذا الحال إلى اليأس والكف عن العمل والمحاولة ويعمد حينئذ إلى المشاكسة وخلق المتاعب . ففي مثل هذه الحالات يجب الإقلاع عن المناظرة والموازنة بين الأطفال المختلفي الكفايات ويجب الاهتمام بالحالات الفردية وبقيمة ما يؤديه كل فرد ونتيجته مهما طال زمن أداء العمل . فإن ذلك مما يؤدي إلى منع هذه الحالات الصعبة ويساعد الطفل المحدود الكفاية .

ما يتبع في مصحات المعالجة

عند وصول فرد سيء التوافق إلى إحدى المؤسسات الطبية لمعالجته دار البحث حول طريقين أساسيين . أولاً جمع كل المعلومات الممكن الحصول عليها عن ماضي الفرد والمحيط الذي يعيش فيه وثانياً فحص الفرد نفسه من جميع النواحي فحماً دقيقاً.

تاريخ الحالة الاجتماعية

مهما كان النظام الذي يتبع في مصحة المعالجة ففي الإمكان جمع المعلومات الخاصة بالحالة التي تحت البحث. يقوم بذلك بعض العلماء المجرىين في الأبحاث العقلية والعلوم الاجتماعية فيحادثون الوالدين والمدرسين والأقارب ورجال الدين وأعضاء النادي والأصدقاء المقربين حتى يحصلوا على أتم صورة للمريض كما يراه الغير ، ثم يجمعون أكثر ما يمكن جمعه من الحقائق عن المحيط والأحوال النفسية التي يعيش فيها المريض الذي لا يستطيع أداء التوافق الحسن . وتسمى المعلومات الخاصة بالمريض « بتاريخ الحالة الاجتماعية » . وبما أن الشخصيات التي يداوم على معاشرتها هي عوامل حيوية في توافق الفرد فإن الباحث الاجتماعي يجب أن يصف بدقة هذه الشخصيات لا سيما والديه ومدرسيه .

وبعد ذلك تحلل جميع الآراء التي جمعت وبعد إرجاع جميع وجهات النظر إلى مصادرها وإعادة الأسباب إلى مسبباتها يمكن الكشف عن بعض نواحي الحالة وتفسير معيبتها . فنستنتج مثلاً من تحليل رأى الوالد في أن ابنه بليد وعميد في حين يظن مدرسه أنه متوسط المقدرة وقابل للتعليم ، أن هناك شيئاً غير طبيعي في العلاقة بين الأب وابنه

وهذه المعلومات الخاصة بتاريخ الحالة الاجتماعية مضافة إلى بعض المعلومات عن أحوال المريض الشخصية والصحية والمدرسية وأخبار بيته وأسرته تقدم إلى جميع أعضاء المصحة الذين سيقومون (بفحص) المريض لأنها تعطيتهم فكرة عن أنواع المسائل التي سيواجهونها في بحث الحالة ثم هي تقدم لهم سبل التشخيص وترشدهم إلى العوامل والأسباب وتنبههم إلى المعلومات الأخرى التي قد يحتاجون إليها .

الكشف الجثمانى

أول ما يصل المريض إلى المصححة يفحصه طبيب إخصائى فحماً جثمانياً مستوفى ليرى إذا كانت هناك عوائق جثمانية مهما كانت درجتها بسيطة أو صعبة ، حادة أو مزمنة ، قابلة للشفاء أو غير قابلة . ثم تعمل بعد ذلك التحاليل اللازمة حسب تعليمات الطبيب . وقد يكشف أيضاً على المريض بالأشعة إذا ظنّ الطبيب أنّ المريض مصاب بالسل ويفحصه إذا ظن أنّ الخلل فى مفرزات الغدد الصماء . ويعالج المريض كذلك ضد الزهري إذا خالج الطبيب أى شك من هذه الجهة .

اختبار الحالة النفسية

من الأمور الهامة التى تتبع فى المصححات قيام علماء النفس بعمل اختبارات للكشف عن مستوى المريض فى الذكاء العام . ويستعمل لذلك أنواع مختلفة من الاختبارات القياسية المعروفة وتأتى أهمية هذه الاختبارات فى أنها تكشف عن مستوى كفاية الفرد العقلية فيفهم الإخصائى المماذج بعد ذلك هل يعود فشل الفرد فى التوافق إلى ضعف فى القدرة الشخصية ، أو إلى فشل البيئة فى إثارة كفاية كامنة أو أن الحادث وجد فى أحوال طبيعية فى كل من الذكاء والبيئة . وقد يختبر الفرد أيضاً بالاختبارات التحصيلية لمعرفة كفايته أو عدمها فى المواد المدرسية الأساسية مثل الحساب والقراءة والهجاء كما قد يتمحن بصر المريض وسمعه حتى يتأكد من سلامتهما . ومن الاختبارات الأخرى التى قد يختار العالم النفسانى إعطاءها للمريض تبعاً لمقتضى الأحوال اختبارات فى الميول الانفعالية التى قد تؤدى إلى بعض الفائدة فى الكشف عن أسباب الحالة واقتراح طرق معالجتها . وتعتبر امتحانات الميول أقل فائدة من اختبارات الذكاء واختبارات التحصيل .

وكثيراً ما حصل الإخصائى من سلوك المريض أثناء هذه الاختبارات على معلومات كثيرة تفيد فى تشخيص الحالة .

محادثة طبيب الأمراض العقلية

يأتى بعد ذلك دور طبيب الأمراض العقلية فى محادثة المريض حديثاً غير رسمى

وبدون تكلف يسعى من ورائه إلى اكتساب ثقة المريض واطمئنانه حتى يكشف عن وجهة نظره الخاصة ويدلى عن علاقته بوالديه ومدرسيه وإخوته وجميع الأشخاص الآخرين الذين يتصل بهم. وفي حالات كثيرة قد يؤدي الحديث في حد ذاته إلى نتائج نفسية على غاية من الأهمية لو قام به شخص عطوف يفهم المسألة بدون توبيخ المريض أو محاسبته. ويمكن أثناء هذه المحادثة ملاحظة ما إذا كان المريض يبدي أسباباً معقولة أو يدعى ويحاول التماس. وقد تؤدي مثل هذه المحادثات إلى تحقيق غايات الفرد ومساعدته على مواجهة الحقيقة كما هي. وعلى ذلك تتبع المحادثة الأولى محادثات أخرى إلى أن يصل المريض إلى حد يطمئن عنده إلى أنه يجد من يعنى به ويهتم بتقدمه مما يؤدي إلى تخلصه من اعتماده على الغير وإلى سيره نحو النجاح واستمراره في ذلك

اجتماع الرئية المعالجة

بما أن كل عضو من المشتغلين في المصحة يكون إحصائياً في فنه فانه ينظر الى الحالة نظرة تختلف عن نظرة زميله اليها كما أن كل واحد منهم يجمع معلومات تمهه غير المعلومات التي يجمعها إحصائي آخر ولذا كانت الحاجة ماسة إلى عقد اجتماع يضم جميع الإحصائيين بالمصحة ليقدموا فيه جميع المعلومات والحقائق الخاصة بحالة ما وليدلى كل منهم برأيه ثم ليتشاوروا فيما بينهم. وينتج عن مثل هذه الاجتماعات تكوين تقرير شامل للحالة وابداء بعض الاقتراحات الخاصة بالمعالجة.

المعالجة وتببع الحالة

تحتوى جميع المصحات المعتمدة على وسائل تمكن بها من متابعة سير الحالة وتطبيق الاقتراحات التي تقدم، كما أنها تلاحق المريض بالمحادثات الشخصية حتى تعاونه على استكمال التوافق وتلاحظ مبلغ تقدم الحالة. ويؤدي هذا العمل إلى الكشف عن معلومات جديدة قد تفيد المريض نفسه وتؤدي إلى تعديل طريقة المعالجة. وكثيراً ما عاد المريض من تلقاء ذاته في فترات متعددة لكي يتلقى إرشادات إضافية في المعالجة.

ويستمر أيضاً علماء الاجتماع في خدمتهم الاجتماعية وزيارة أسرة المريض حتى يتخذوا الخطط المناسبة نحو الحالة . وتحفظ جميع السجلات والتقارير الخاصة بكل حالة إلى أن تنتهي علاقة المصححة بها بسبب تحسن الأمور ثم ينتقل العلاج إلى شخص آخر .

الطرق المؤدية إلى العلاج

يتحتم أن يكون العلاج في مثل هذه الحالات فردياً يعتمد على المعلومات التي يكشف عنها بحث المصححة والتشخيص . ولا توجد قواعد عامة يمكن تطبيقها على جميع الافراد الذين تظهر عليهم عوارض متماثلة . وأهم سبب لذلك أن العلاج لا يوجه إلى العوارض نفسها بل إلى الأسباب المؤدية لتلك العوارض . فاذا دلت العوارض على أنها مسببة عن الشعور بعدم الطمأنينة مثلاً وجه العلاج وجهة أخرى تؤدي إلى زيادة الشعور بطمأنينة الشخص المريض . وطالما نفذت الاقتراحات المبينة على تشخيص صحيح للاعراض فتمحسنت الحال وإن أتى علاجها بطريق غير مباشر . وكثيراً ما كان العلاج في أول الامر للحصول على العناية الطبية العادية حتى يمكن الشروع في المعالجات الأخرى مع العلم بأن حالة المريض من الوجهة الطبية الجثمانية على أحسن ما يمكن .

ويصف العلاج في أحوال كثيرة تغيير البيئة التي عاش فيها المريض أو تغيير أنواع لعبه ومحيطه ورفاقه وهوايته . وقد تؤخذ الاجراءات لتشجيع الهواية وإعطاء بعض المال للتصرف فيه وتعديل الاعمال المدرسية . والغرض من كل هذا تقليل الضغط الانفعالي وإعطاء المريض الفرص لإتيان الامور الحسنة من الوجهة الاجتماعية والوجهة الاخلاقية .

وربما كانت أهم تغيرات تعمل في البيئة التغيرات النفسية التي تشمل ميول الوالدين والمدرسين وغيرهم ممن يؤثرون في المريض . وقد يحتاج هذا الامر إلى تهذيب الوالدين وتربيتهم من جديد بعد معرفة أن سوء توافق الوالدين هو السبب المباشر لسوء حالة ولدهم . فيجب على الأب غير الناجح في عمله ألا يصب جام غضبه على ولده كما أن على الأم أن تكف عن نقد نظم المدرسة بل يحسن بها أن تعتمد إلى

التعاون معها كيلا يقع الطفل فريسة لسوء العلاقات بين البيت والمدرسة . ثم إن مقدار المعاونة التي يقدمها الوالدان في شأن المعالجة ، والخطط والميول التي يتخذها نحوها مما يؤثر في مصير الحالة ثم في نجاح العلاج أو فشله .

ونذكر أن تحول ميول المريض نفسه أهم من تغير البيئة والأفضل أن نفهمه أن طرق استجاباته السابقة غير مرغوب فيها وأنها من نوع ما يأتيه الأطفال ، وأن ندر به على الأساليب الفاضلة في مواجهة الأحوال ، وأن ننمي فيه بعد النظر والبصيرة وطريقة تحمّل الأمور ، وأن نخفق فيه الرغبة الصداقة للملافة سوء السلوك السابق ، فنبدل كل ذلك بطرق حسنة لتوافق الأحوال .

تباين الاصطراع وإعادة التوافق المرغوب

يجب علينا أن ننظر إلى عملية إعادة الفرد السيء التوافق إلى حالته الطبيعية من الصحة العقلية على أنها عملية تحتاج إلى فترة من الزمن لا على أنها عملية يمكن علاجها في جلسة واحدة . ومن البديهي أن زمن العملية يتوقف على طبيعتها وصعوبتها وخطورة حالة التوافق السيء وعلى مدى معاونة الفرد نفسه ومساعدة والديه ومدرسيه ورفقائه في هذا الشأن قبل كل شيء آخر .

وإن الاختبار الصحيح والحكم الحقيقي لمعرفة مقدار نجاح هذه المعالجات الصحية لا يقدر بالرجوع إلى إحصاء الحالات التي تم فيها الشفاء ولكن بإحصاء الحالات المستهصية التي لم يقد فيها العلاج شيئاً . ولا يمكننا إيراد إحصاءات في هذا الشأن لأنه ليس من عادة المصحات أن تذكر مثل هذه الأمور أو تنشرها .